

# أصل الألوان في الأدب والقرآن

أستاذ مشارك - قسم الأدب والنقد والبلاغة -  
كلية اللغة العربية - جامعة القرآن الكريم  
والعلوم الإسلامية

**د. صديق عبد الرحمن إبراهيم موسى**

## المستخلص:

تناول البحث أصل الألوان في الأدب والقرآن. أتت أهمية البحث بعد أن فرضت الألوان نفسها على المجتمعات البشرية، ودخولها في صياغة الحياة الإنسانية وإخراجها في ثوب لا تستغني عنه المكونات البيئية، وإشغال الأدباء من الكتاب والشعراء بهذا اللون وإدخاله في إنتاجهم الأدبي. هدف البحث إلى بيان قيمة الألوان كموجه حيوي في المجتمع البشري، وإظهارها كعنصر أساسي يدخل في الأعمال التنفيذية في حياة الإنسان، لما ثبت للألوان من أهمية في بناء الأوطان وإعمار الأرض، وتأصيل الحضارات وتوثيق ثقافاتهما. وأتبع البحث المنهج الإستقرائي والوصفي التحليلي. خلص البحث في خاتمه بعدة بنتائج منها؛ الألوان جزء أصيل من مكونات المجتمع الإنساني، وعامل لإرساء مبادئ الحياة وإعمار الأرض، أولع الأدباء من الكتاب والشعراء بالألوان فأدخلوها في فنون البلاغة من التشبيهات والإستعارات والكنايات، القرآن ذكر أصول الألوان التي نشأت منها، فهي حل للمشكل ونصر للكرامة، وحفظ للأرواح. وأوصى البحث بعدد م التوصيات منها؛ تأمل جميل خلق الله من الألوان للوقوف على إعجاز الخالق وشكره على نعمة البصر. الإعتبار بالألوان والأيمان بشرعيتها في دخولها حيز الحياة التنفيذية للإنسانية.

**كلمات مفتاحية:** الألوان، الأدباء والفنانين، الشعر والرثاء، القرآن الكريم.

## Colors origin in Arabic literature and Holy Quran

Dr.Siddiq Abdul Rahman Ibrahim Musa/ Co-professor

### Abstract

The research dealt with the origin of colors in literature and the Qur'an. The importance of the research came after the colors imposed themselves on human societies, and their entry into the formulation of human life and their output in an indispensable dress for the environmental components, and the work of writers and poets with this color and its inclusion in their literary production. The aim of the research is to demonstrate the value of colors as a vital guide in human society, and to show them as an essential element that enters into executive work in human life, because of the importance of colors in building nations and reconstructing the earth, and rooting civilizations and documenting their cultures. The research followed the inductive and descriptive analytical method. The research concluded in its conclusion with several results, including; Colors are an integral part of the components of human society, and a factor in establishing the principles of life and the reconstruction of the earth. Writers and poets were fond of colors, so they included them in the arts of rhetoric from similes, metaphors and metonyms. The Qur'an mentioned the origins of the colors that arose from it, it is a solution to the problem, a victory for dignity, and a preservation of souls. The research recommended a number of recommendations, including beautiful contemplation of God's creation of colors to find out the miraculousness of the Creator and thank him for the blessing of sight. Considering colors and believing in their legitimacy in their entry into the executive life of humanity.

**Keywords:** colours, writers and artists, poetry and lamentations, the Holy Quran.

### المقدمة:

إن من عظيم صنع الله الألوان وأختلافها وتفاوتها وتجانسها وتألفها، فلا حياة بلا ألوان ولا ألوان بلا حياة، فالألوان جزء أصيل من مكونات المجتمع الإنساني، فاليئات لا تميز إلا بألوانها، وطعم الحياة لا يحلو إلا بتفعيل الألوان، إن الكون المنظور يستمد جماله من تعدد الألوان، ولعمارة الأرض من البشر ألوان تميزهم وكل الكائنات الحية والجمادات، فحياة لا لون لها فهي عيش بلا طعم ولا رائحة، بدون الألوان يكون العالم نكرة، لا يعرفه ويميزه ولا يحفظ حقوقه وحدوده

أحد، فالمعاني المادية من الملموسات تبينها الألوان، والمعاني الحسية من المدركات توجهها الألوان، فبقاء طبيعة الألوان مؤشر إيجابي علي سلامة العقل لأنه يتعامل مع أطوار الحياة بمميزاتها اللونية، ومن اختلّت طبيعة الألوان أمام ناظره فإنه يجد صعوبة في التعامل مع الآخرين، وكأنه جاء من عالم آخر، فالحياة موجودة بألوانها قبل أن يدخلها الإنسان ويتعرف عليها، فالألوان ترسخ في العقل البشري قبل اكتمال نموه ونضجه، وقبل النضج العقلي تتأصل ألوان الماديات، وبعد النضج تتأصل مدركات المحسوسات التي توجهها الألوان، وهذا يشهد للألوان بأنها تنقل حياة الإنسان من طور لآخر، وحقائق الأمور تثبت وتبين بما اكتسبته من ألوان، فالألوان من موجهات الحياة التي تؤدي إلي صونها ورعايتها وتحافظ على إعمارها وتطويرها، فكم كانت الألوان نصرا ورمزا للكرامة، فما من دولة إلا ولها علمها الخاص يتميز بألوانه عن بقية الدول، وكم كانت الألوان حافظة للأرواح في علامات المرور التي تنتظم العالم، إن دخول الألوان إلى الدوائر التنفيذية في أنحاء المعمورة يعطي السرعة لتحكم الألوان في بعض مظاهر الحياة، فالعقل البشري هو الذي يختار الألوان ليزين بها الحياة، ومن الألوان ما يكون محل استهجان واستقبح لبعض البشر، وتكون في محل القبول والسرور للبعض الآخر، ومن هنا كانت الألوان منشأً وبعثاً للفرح والسرور، ولقد تعامل الإنسان منذ زمن بعيد مع الألوان كموجه نفسي فجعلها معبراً عن شعوره ومفسراً لأحلامه وعلامة مؤثرة في تصرفاته، ولذلك نجد الأدباء من الكتاب والشعراء والخطباء قد أولعوا بالألوان وجمالها فجعلوها مصدراً لتعبيراتهم حددوا عبرها مرامي الكلام وأبعاده، فأدخلوها في البلاغة عامة ومباحث البيان على وجه الخصوص، فحفلت الأشعار والتشبيهات والإستعارات والكنائيات بذكر الألوان، ودفع الأدباء بالألوان وصفاتها في الوصف والتحليل فحفلت المعاني ببديع القول وجميل التعبير، ومن موضوعات الألوان لدى الشعراء، المدح، والفخر، والهجاء، والأطلال، والرثاء، والتشبيب، ولقد جاء ذكر الألوان في القرآن العظيم وما تناولته الآيات منها هو أصولها التي تؤلف بقتها، وهذا يدل على عظمة كلام الله تعالى وبلاغته، فإنبثاق الألوان من هذا العدد القليل المذكور في القرآن يوحى بقدرة الخالق العليم بعجائب خلقه، فالقرآن العظيم هو محل الفرح والسرور والرضا فكل مخلوقات الله مسخرة لمصالح عباده وعلى كل إنسان أن يتأمل في صنع الله، ومن عجائب الألوان في القرآن الكريم إنها تبين منازل ودرجات بعض خلق الله من الثواب والعقاب، فهي مستخدمة للذم والمدح، ولييان فضل الله ورحمته، ولتفصيل عذاب الله وسطوته، ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وتناجج وزيلته بالمصادر والمراجع، وجاء المبحث الأول بعنوان: الألوان في الشعر والنثر، والمبحث الثاني بعنوان: أصل الألوان في القرآن، ولقد انتهجت في البحث: الإستقراء والوصف والتحليل.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان قيمة الألوان كموجه حيوي في المجتمع البشري، وإظهارها كعنصر أساسي يدخل في الأعمال التنفيذية في حياة الإنسان، لما ثبت للألوان من أهمية في بناء الأوطان وإعمار الأرض، وتأصيل الحضارات وتوثيق ثقافاتهما، بما خص الله الألوان من أهمية في القرآن

الكره أعطتها حق البروز المميز مما فرض على الحياة التعامل معها من منظور إعجازي.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث لفرض الألوان نفسها على المجتمعات البشرية، ودخولها في صياغة الحياة الإنسانية وإخراجها في ثوب لا تستغني عنه المكونات البيئية، وإشتغال الأدباء من الكتاب والشعراء بهذا اللون وإدخاله في إنتاجهم الأدبي الذي يصب في ترقية الحياة العقلية ويرفع من مستوى القدرات التعبيرية والأدبية التي تعمل على راحة النفس وتهيئ سبل إستقرارها وسرورها.

### منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو الإستقراء والوصف والتحليل.

الألوان في الشعر والنثر:

إن أول ما ما نفتتح به ذكر الألوان في الأدب أحد الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في

الجاهلية والإسلام، الشاعر لبيد بن ربيعة العامري في قوله:

فَقَدَرْتُ لِلوَرْدِ الْمُعْلَسِ عُدْوَةً فَوَرَدَتْ قَبْلَ تَبَيُّنِ الأَلْوَانِ  
سُدْمًا قَدِيمًا عَهْدُهُ بِأَنبِيسِهِ مِنْ بَيْنِ أَصْفَرَ نَاصِحٍ وَدِقَانِ  
فَهَرَقْتُ أُذُنِيَّ عَلَى مُتَتَلِّمٍ خَلَقَ مُعْتَدِلٍ مِنَ الأَصْفَانِ  
فَتَعَمَّرْتُ نَفْسًا وَأَدْرَكَ شَأُوهَا عَصَبَ القَطَا يَهُوِينَ لِلأُدْقَانِ<sup>(1)</sup>

هذا الشاعر من أعرق شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام وهذا الشعر قاله في الجاهلية مما يبين أن الألوان كانت معروفة في الجاهلية، والأدب الجاهلي هو أقدم أدب عربي يصل إلينا، لقد ذكر الشاعر الألوان وخص بالذكر اللون الأصفر وكل ذلك في الوصف لبيان الحال.

قال القاسم بن أمية بن أبي الصلت:

لَا يَنْكُتُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ لِتَطْلُبِ العِلَاتِ بِالعَدَانِ  
بَلْ يَبْسُطُونَ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ السُّوَالِ كَأَحْسَنِ الأَلْوَانِ  
فَإِذَا الحَرِيبُ أَنَاخَ وَسَطَ بِيُوتِهِمْ رَدُّهُ رَبِّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ  
وَإِذَا دَعَوْتَهُمْ لِيُومِ كَرِيهَةٍ سَدُّوا شِعَاعَ الشَّمْسِ بِالفُرْسَانِ<sup>(2)</sup>

لقد ذكر الشاعر الألوان للفخر لقوله يبسطون وجوههم عند السؤال كأحسن الألوان أي لا تتمعر وجوههم ولا تتغير إذا قصدهم السؤال للعطاء والهيأت، ويزيد الشاعر في الفخر في البيتين الأخيرين، يقول إذا الحربتوسطت بيوتهم ونزلت بها ردوها بالخيل الصواهل في يوم الوغي والكريهة وسدوا شعاع الشمس سدا محكما وكأنه بني بالحجارة وفي هذا دليل على كثرتهم وقوتهم.

قال أبو المهوش الأسدي:

وبنو الفقيم قليلة أحلامهم ثطَّ اللحي متشابهو الألوان  
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان  
متأبطين بنبيهم وبناتهم صعر الأنوف لريح كلِّ دخان<sup>(3)</sup>

ذكر الشاعر اللوان التي هي قاسم مشترك بين بني فقيم فهم على أخلاق واحدة متشابهة

في قلة الأحلام أي قلة العقول والسفه والحماقة، فهم لا يسمعون بمكان أكل أو شرب إلا طارو إليه ولوكان بعمان المدينة أو الدولة المعروفة، حاملين الأولاد والبنات علي أباطهم وهذه كناية عن عجلتهم وأسراعهم للوصول إلي مكان الطعام والشراب، والألوان هنا دخلت عند الشاعر للهجاء، وبقدرا استعمل الشعراء الألوان في موضوعات الشعر من المدح والهجاء فقد استخدموها أيضا في العفو والصفح ففي كتاب الفاضل جاء: شتم رجل فقال الرجل لشاتمته يا هذا، ما ستر الله عليك من عورتي أكثر، وأنشده:

لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلّوا وإن عزّوا لأقوام

أو يشتموا فتزى الألوان مشرقة لا صفح ذلّ ولكن صفح أحلام

قيل العقوبة أُم حالات ذوي القدرة، وقال جعفر بن محمد لأن أندم على العفو أحبّ إليّ من أن أندم على العقوبة، وأوّل ما عوّض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره، وقال للشعبي، ليست الأحلام في حال الرضا إنما الأحلام في حال الغضب.<sup>(4)</sup>

جاء في أسماء الألوان وأوصافها قول أبي يزيد: الصداء من المعز: السوداء المشربة حمرة، والدهساء أقل منها حمرة، والقنوء: شدة الحمرة، والعرب تقول: أحمر قانئ، وقد قنأيقنأقنوءاً، وأحمر ذريحى وأحمر باحروبوحرانى وقاتم، أي شديد الحمرة، وناصح، والناصح: الخالص من كل لون، وقال ابن الأعرابي ويقال أحمر كالنكعة، وهو ثمر النقاوى وهو كالنبقة.<sup>(5)</sup>

ولقد تأصلت معاني الألوان بين الناس فأفرد لها الكتاب من الأدباء أوصافا تتناسب مع الذوق، جاء في الموشى: وليس يُستحسن لبسُ الثياب الشنعة الألوان، المصبوغة بالطيب والزعفران، مثل الملحم الأصفر، والدببيقيا المعنبر، لأن ذلك من لبس النساء، ولبس القينات والإماء، وقد يلبسون في الفصد، والعلاجات، ووقت الشراب، والخلاوات، الغلائل الممسكة، والقُمص المعنبرة، والأردية الملونة، والأزرر المعصفرة، وربما استعملوها لفرشهم، لبسوها في وقت قصفهم، وتظرفوا بها في مجالسهم، وتخفّفوا بها في منازلهم، والظهور فيها قبيح بالسوقة والظرفاء، مستحسنٌ من أهل النعم وأبناء الخلفاء، وليس يُجيز أهل الظرف والأدب لبس شيء من الثياب الدتسة مع غسيل، ولا الكتان مع المروى، ولا الباياف مع القوهي أيضاً، وأحسن الزي ما تشاكل وانطبق، وتقارب واتفق.<sup>(6)</sup>

جاءت الألوان وصفا لهيئات الناس ولباسهم ومظاهرهم وطرائق حياتهم، ولم تقف حدود الألوان لدي الكتاب على المدرك القريب المأمول، بل تعدته إلى ما هو بعيد غير مأمول فقد وصفوا السمار وظهر منها فقد جاء قي كتاب سرور النفس بمدارك الحواس الخمس وصف النجوم فقيل: حل: له السواد الحالك وما مزج سواده صفرة واللون الرصاصي والظلام، والمشتري: له الغبرة والبياض المشوب بصفرة وسمرة والضياء والبريق، والمريخ: له الحمرة المظلمة.<sup>(7)</sup>

إن في معرفة النجوم وأحوالها وألوانها عبرة يعلمها الله تعالى، وعبر وفوائد عرفها الإنسان مثل العلم بعدد السنين والحساب، فقد جاء في ديوان المعاني: إن لله جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من التهافت وبرها من التفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان

لأبصار الناظرين وأحلاها في أنفوس المتوسمين وحرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره في منازلها وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق.<sup>(8)</sup>

لم يقف استعمال الأدباء للألوان عند المحسوسات المادية فحسب، بل أنتقلوا بطبيعة الحال إلى استخدامها في المعقولات المعنوية وهذا من أهم موضوعاتهم، فهذا ابن سنان الخفاجي يقول: إن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجري الألوان من البصر، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة؛ ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصفر، وبعد ما بينه وبين الأسود.<sup>(9)</sup>

قال عبد الصمد يصف البلح:

كأته في ناضر الأغصان	زمرّد لاح على تيجان
حتى إذا تمّ له شهران	وانسدلت عثاكل القنوان
فضّلن بالياقوت والمرجان	رأيته مختلف الالوان
من قانيء أحمر أرجوان	وفاقح أصفر كالنيران <sup>(10)</sup>

وهذا الشاعر وصف البلح وميزه بألوانه فالألوان تعطيه قيمته وترفع درجته وتحببها إلى الناس بحسب رغباتهم وما تميّليته نفوسهم، فذكر الألوان جاء هنا للوصف وبيان الحال. قال كشاجم:

نعم المعين على الآداب والحكم صحائف حلك الألوان كالظلم  
جفت وخفت فلم يدنس لحاملها ثوب ولم يخش فيها نبوة القلم  
لو كنّ ألواح موسى يوم أغضبه هارون لم يلقها خوفا من الندم<sup>(11)</sup>

والوصف بالألوان لم يقف عند حد واحد بل تعدى إلى حدود أبعد بحسب رؤية الشاعر أو الكاتب، فالشاعر في الأبيات السابقة يصف لنا الصحائف المنجية التي تحمل في متنها العلم النافع أو الثواب العظيم ويمدحها بقوله نعم المعين على الآداب والحكم، ثم يذكر كيف أنها حلك الألوان أي حالكة الألوان كأنها ظلام أو سواد وهو لون المداد.

للألوان علم قائم بذاته ويتقنه من يعالج الأسباق بخلط بعضها ببعض ليولد منها ألوان أخرى، جاء في عمدة الكتاب وعدة ذوي الأبواب، إن الألوان إنما هي أبيض وأسود وأحمر وأصفر ولون السماء، فالأبيض هو الباروق، والأسود هو المداد، ولون السماء هو اللازورد ويعمل بنيل وزنجر مركب، ويعمل الأحمر بزنجفروأسرنج، ويعمل الأصفر الفاقع من الزرنج الأصفر، والذي إلى الحمرة من زرنج أحمر، والأصباغ لا يختلط بعضها ببعض إلا مسحوقة مبلولة فإنه أجود، والإسفيداج هو الباروق، وبه تكثر الأصباغ وتنتقل من لون إلى لون، وهو وحده للبياض لا غير، والزرنج واللازورد لا يمزجان بشيء، وليس فيهما غير لونهما<sup>(12)</sup>. جاء في كتاب العمدة في محاسن الشعراء بيتا من الشعر حمل كثيرا من معاني الألوان التي نظر إليها البعض بعين النقد وذلك في قول الشاعر:

بسود نواصيها وحمرة أكفها وصفرة تراقيها وبيض خدودها  
لقد روى نفس البيت ابن الأعرابي ولكن بنظرة مختلفة للألوان أدت إلى تغيير المعاني الجمالية  
وقلبتها رأساً على عقب، وذلك بتقليبه وتقديمه وتأخيره للألوان في قوله:

بصفر تراقيها وحمرة أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها

وقال الرماني وغيره: السواد والبياض ضدان، وسائر الألوان يصاد كل واحد منها صاحبه، إلا  
أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة؛ إذ كان كل واحد منهما كلما قوي زاد بعداً من صاحبه،  
وما بينهما من الألوان كلما قوى زاد قرباً من السواد، فإن ضعف زاد قرباً من البياض، وأيضاً فلأن  
البياض منصبغ لا يصبغ، والسواد صابغ لا منصبغ، وليس سائر الألوان كذلك؛ لأنها كلها تصبغ ولا  
تنصبغ.<sup>(13)</sup>

قال ابن أبي حفصة:

تمضي أسنته ويسفر وجهه في الحرب عند تغير الألوان  
نعم المناخ لراغب ولراهب ممن تصيب جوائح الأزمان  
إن عد أيام اللقاء فإمّا يوماه يوم ندى ويوم طعان  
يكسو الأسرة والمنابر بهجة ويزينها بجهارة وبيان<sup>(14)</sup>

هذا الشعر القوي جاء في المدح والفخر في آن واحد وكلمة ألوان المذكورة في البيت الأول  
تدل على الشجاعة ورباطة الجأش، لأن الذي يتغير لونه هو من أصابه القهر ومسه الألم، فالممدوع  
مسفر الوجه واضح الوضاعة بهي المحيّا لا تتنابه أيّة مهابة من الأعداء، وبقية الألوان تسير متقلبة  
بين المدح والفخر بالعشيرة. ومن غريب ما قبل في الألوان ما بحثه الجاحظ في علة إختلاف الناس  
في ألوانهم، ففي الرسائل السياسية يقول الجاحظ: إن الله لم يجعل السودان سودا والبيضان بيضا  
وأما البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها هي التي تحيل ألوانهم أو تصبغ جلودهم بالوان مختلفة،  
ويقول على لسان السودان (إن الله تعالى لم يجعلنا سودا تشويها بخلقنا، ولكن البلد فعل ذلك  
بنا، والحجة في ذلك ان في العرب قبائل سودا كبنو سليم ابن منصور، وكل من نزل الحرة من غير  
بنو سليم كلهم سود)، وقد يأتي بنو سليم برعاة من الروم البيض فلا يمضي ثلاثة أجيال حتى  
يصبحون سودا، ثم ان جميع الحيوانات التي تعيش في الحرة من نعام وهوام وذباب وبعوض  
وشاء وحمير وخيل وطيور سود، وثمة دليل آخر على اثر البيئة في تشكيل الالوان، هو اننا نرى  
جراد البقل وديدانه خضرا، كما نرى قمل الرأس الاسود سوداء، وقمل الرأس الاشيب بيضاء،  
وينتهي الجاحظ الى القول: (والسواد والبياض اماهما من قبل خلقة البلد وما طبع الله عليه  
الماء والتربة، ومن قبل قرب الشمس وبعدها وشدة حرها ولينها، وليس ذلك من قبل مسخ  
او عقوبة، ولا تشويه ولا تقصير).<sup>(15)</sup> وهذا حديث مستنتج من طباع بعض الحيوانات كالجراد  
والديدان والقمل، وإنما اعتبر الكاتب بألوانها التي وجدت عليها في بيئتها التي تعيش فيها، وطالما  
ميز الجاحظ تلك الحيوانات تلك بألوانها فهذا يكفي لوجود الألوان وجودا حيويا يؤثر في توجيه  
حياتها بإرادة الله.

لقد احتار في الألوان كثير من الناس فإذا كان الجاحظ قد أدلى برأيه فهناك من الأدباء من تسائل عن كثير من الألوان في البيئة المحيطة، ففي كتاب الرسائل الأدبية دارت هذه الأسئلة: خبرني عن لون ذنب الطاووس ما هو، أتقول بأنه لا حقيقة له وإنما يتلون بقدر المقابلة، أم تقول إن هناك لونا بعينه والباقي تخييل، وما تقول في عس الماء كيف اشتد صوته بلا باب، والصوت لا بد له من هواء، وإذا اشتد فلا بد له من باب، وما نقول في خضر السماء، أهو خضر جلدها كما تقول، أم ذلك لحر الهواء، وهل تزعم أن الأفلاك ذات لون، فإن كان لها لون فقد احتملت جميع الأشكال، وهذا خلاف ما يقولون، وإن لم تكن ذات لون فالسماء إذا غير الفلك.<sup>(16)</sup>

كل هذه الشكوك والتسؤلات لا يزال البعض يصور الألوان في بيئته المحيطة بما تمليه عليه نفسه، وفي كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان نفس هذه المغالطات حيث يقول المؤلف نقلا عن غيره، قالوا وإمّا صارت ألوان سگان إقليم بابل السّمره، وهى أعدل الألوان. لأنهم لم يولدوا في جبال ولا على سواحل بحار، فخرجت عقولهم الباطنة من الاعتدال والاستواء على حسب ألوانهم وشمائلهم الظاهرة، وقالوا يولد المغرب والأقشر ولا يعدّونهما في البرصان، وإن كان بياضهما خارجا من المقدار، ولو أنّ بعض جلد المغرب صار لبعض السّودان والأدمان لعدّوهما لا محالة في البرصان، قالوا: والرّنجى كلّ شيء منه أسود إلا أسنانه وبياض مقلتيه، وعلى أنّ لون راحته وظفره لون من البياض والسواد.<sup>(17)</sup> وقالت بعض العرب لبعض الملوك: هل لكم في النساء الرّهُر، والخيل الشُّقر، والنُّوق الحمر الحمراء غدري، والصّهباء سرعى، والدّهماء بهمى، والألوان الأخر داخله على هذه الألوان، وكذلك ألوان وأصناف البهائم، وأما ألوان الأسد فمتشابهة، لا اختلاف فيها إلا بالشيء اليسير، والناس يختلفون في الألوان وكذلك الكلاب والسنائير والخيل والبغال والحمام والحيات والطيور.<sup>(18)</sup>

جاء في العقد الفريد: قيل لأعرابي أي الألوان أحسن؟ قال: قصور بيض في حدائق خضر، وقيل لآخر: أي الألوان أحسن؟ قال: بيضة في روضة غبّ سارية والشمس مكبّدة، وقال أعرابي: لقد رأيت بالبصرة برودا كأنها صبغت بأنوار الربيع، فهي تروع واللابس لها أروع.<sup>(19)</sup>

إن أروع وأجمل ما أستعمل في الألوان استخدام الشعراء والأدباء، جاء في كتاب البديع لابن المعتز، البديع اسم لهذه الألوان الساحرة في الأسلوب، ولهذا الترف البياني في الأداة، من تشبيه واستعارة وتجنيس وتطبيق وسوى ذلك، سماه به مسلم بن الوليد الشاعر وكان يُعرف قبل ذلك باللطيف، ودرج على هذا اللقب من بعده من العلماء والأدباء، وذكر الجاحظ البديع وبعض المشهورين به من الشعراء وأنه مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم على كل لغة، وذكر كثيراً من الشعراء الذين أكثروا منه في أشعارهم، ويرى ابن المعتز أن البديع اسم موضوع لفنون يذكرها الشعراء والنقاد المتأدبين، وألوان البديع عند ابن المعتز هي الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد العجز على الصدر، والمذهب الكلامي، ويجعل ما عدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول أنها كثيرة، ولا يرى حرجاً في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع.<sup>(20)</sup>

قال الشاعر:

لِي صَاحِبٌ مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانِ مُتَّهَمُ الْغَيْبِ عَلَى الْإِخْوَانِ  
مُنْقَلَبُ الْوُدِّ مَعَ الزَّمَانِ يَسْرِقُ عِرْضِي حَيْثُ لَا يَلْقَانِي  
حَتَّى إِذَا لَقِيْتُهُ أَزْضَانِي فَلَيْتَهُ دَامَ عَلَى الْهَجْرَانِ<sup>(21)</sup>

ذكر الشاعر أن صاحبه مختلف الألوان أي ألوان الأخلاق فهو غير مأمون ومن ألوانه متهم الغيب على اخوانه، ومنقلب الود مع الزمان، ويسرق أعراض الآخرين، فأنظر إلى هذه الألوان المذمومة فاللون للذم وبيان سوء الحال.

قال الشاعر:

رَكِبْتَ مِنَ الْمَقْطَمِ فِي جَمَادِي إِلَى بَشْرِ بْنِ مِرْوَانَ الْبُرَيْدِ  
وَلَوْ اعْطَاكَ بَشْرُ الْفِ الْفِ رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ بِأَنْ يَزِيدَا  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْمِ بِبَشْرِ عَمُودِ الدِّينِ إِنْ لَهُ عَمُودَا  
وَدَعِ بَشْرًا يَقُومُهَا وَيَحْدُثُ لِأَهْلِ الزِّيغِ إِسْلَامًا جَدِيدَا  
عَلَى دِيبَاجِ خَدَى وَجْهِهِ بِشْرًا إِذَا الْإِلْوَانُ خَالَفَتْ الْخُدُودَا<sup>(22)</sup>

هذه الأبيات قالها الشاعر في مدح بشر وهو الممدوح الذي أعاد ذكره في جميع الأبيات ولكن في البيت الأخير بين المقصد من ذلك التكرار وفي الواقع أن المقصد بينته الألوان، على ديباج خدى وجهه بشر إذا اللون خالفت الخدودا، يقول علي وجهي وصفحة خدي ووجنتي صورة بشر فهو محمول في المحيا إذا لم يحمله الآخرون على وجوههم وخدودهم وتلونوا بألوان التمرد علي الممدوح.

وقال أبو النجم:

فَالرُّوضُ قَدْ نَوَّرَ فِي حَوَائِهِ مُخْتَلِفَ الْأَلْوَانِ فِي أَسْمَائِهِ  
نُورًا تَحَارَ الشَّمْسُ فِي حَمْرَائِهِ مَكْلَلًا بِالنُّورِ مِنْ صَفْرَائِهِ<sup>(23)</sup>

فالشاعر ذكر الألوان في الشطر الثاني من البيت الأول ووصف الروض بأنه مختلف الألوان والأسماء، فالألوان ألوان والأسماء ألوان، ثم ذكر اللونين الأحمر والأصفر والنور وهذه أسماء لما في الروض، لقد تعودت الكتاب والشعراء على إطلاق الأسماء على ألوان الجمال ومظاهره في الرياض ومغاني الطبيعة، ومن ذلك، ما جاء في كتاب سرور النفس حيث قال المؤلف: لما كانت محاسن الأشجار، وما تشتمل عليه من الأزهار، وما يتخللها من الجداول والأنهار، إنما تظهر للأبصار بالنهار، وكان في ضيائه أنس القلوب وتنفيس الكروب، وانتشار الحرارة الغريزية في الأبدان، ونزهة العيون في محاسن الألوان، تجاه الرياض المشرقة، وتحت ظلال البساتين المونقة، وعلى حافات البرك والأنهار المتدفقة، وذلك مقصور على فصل الربيع لتزيين الأرض بأنواع الزخارف، ولما تلبسه من حُضْر المطارف، حتى تُبْدي لمبصرها من أزهارها ما هو أبهى من الجوهر، ويهدي أَرْجُهَا ما هو أطيّب من المسك.<sup>(24)</sup>

قال الشاعر:

ومفتنة الألوان بيضٌ وجوهها ونمرٌ تراقيها وصفراً جنوبها  
كان درارياً عليها قصيرةً مرقعةً أعطافها وجيوبها  
تعديلُ ألوانِ الأغاني كأنها تعديلُ أوزانِ الأغاني عريها<sup>(25)</sup>

هذه الأبيات من أروع ما قيل في مقام الألوان في سياق الوصف فالشاعر يصف عصفورة وقد ذكر لها من الألوان الكثير، ففي البيت الأول ذكر اللون الأبيض والنمري والأصفر وفي البيت الأخير قال تعديل ألوان الأغاني كلها وهو يعني معانيها وألوانها الأدبية والبيانية والراجح أنه يقصد بالأغاني كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وما فيه من أحيان ومعاني، ودليل هذا الكلام قول الشاعر تعديل أوزان الأغاني كلها في الشطر الثاني من البيت الأخير.

قال الشاعر:

خلطنا دماً من كرمه بدمائنا فأظهر في الألوان منّا الدم الدّم  
إذا شئتما أن تسقياني مداماً فلا تقتلاها كل ميتٍ محرّم<sup>(26)</sup>

قد جمع بين دم الاستعارة للعنقود ودم الحقيقة، واستعار في البيت الثاني للمزاج لفظاً مليحاً في القتل، فذكر الألوان وأراد منها اللون الأحمر الذي يشبه لون الدم. قال المأمون اجتمع في التفاح الصفرة والدرية، والبياض الفضي، والحمرة الذهبية، يلدُّ به من الحواس ثلاث: تلذُّه العين لحسنه، والأنف لعرفه، والفم لطعمه، وقال سهل بن هارون: قد جمع التفاح من الألوان العلوية<sup>(27)</sup>. وصف الخليفة المأمون التفاح فجمع له عدد من الألوان الصفرة الدرية، والبياض الفضي، والحمرة الذهبية.

قال الأصمعي الحسن أحمر إنما يعني أنه من أراد الحسن والجمال صبر على أذاه ومشقته في الحمل على البدن والمال وذلك لقولهم الموت أحمر، ومنه قول علي رضي الله عنه، كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد أقرب إلى العدو منه، وذهب أبو عبيد في تفسيره إلى الشدة وهو قول الأصمعي، وذهب غيره إلى أن الحسن في الحمرة من الألوان، وأنشد، وإذا خرجت تقنعي بالحرمر إن الحسن أحمر<sup>(28)</sup>. لقد جاء استعمال الألوان عند الشعراء والكتاب لمعان كثيرة منها الوصف والمدح والهجاء والثناء والفخر وغيرها مما لا يعد.

### أصل الألوان في القرآن:

لقد جاء ذكر الألوان في القرآن الكريم، ويعتبر ما ذكر منها هو أصولها التي تنبثق منها بقية الألوان وتتمازج لتشكّل ما عرف من أنواع متفق عليها، وما جاء ذكره من الألوان في القرآن العظيم هو: الأبيض، والأسود، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والأحمر، فهذه الأجناس من الألوان تتكون منها جميع الألوان المطلوبة عبر الأخلاط والمزج الذي يتقنه المختصون من الفنانين، إن عدد أصول الألوان في القرآن العظيم ست، وسوف نقف عليها في آيات الله مع ترك المكرور منها.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**  
**جَدُّمُ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّبٌ سُودٌ وَمِنْ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ** <sup>(29)</sup>

فقال عزوجل: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَعْنِي الْمَطْرَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا مِنَ الثَّمَارِ الْأَحْمَرِ، وَالْأَصْفَرِ، وَالْحَلْوِ، وَالْحَامِضِ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ يَعْنِي خَلْقَ مِنَ الْجِبَالِ جَدَدًا يَعْنِي، جماعة الجدة. والجدة هي الطريق التي في الجبل والجدد هي الطرائق، فترى الطريق من البعد منها أبيض، وبعضها حمر، وقال القتيبي، الجدد الخطوط والطرق تكون فيالجبال، فبعضها بيض وبعضها حمر، وبعضها غرايبب سود، وهو جمع غريب وهو الشديد السواد. ويقال: أسود غريبب وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ يَعْنِي خَلْقَ مِنَ النَّاسِ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ.<sup>(30)</sup>

لقد ذكر الله من أصول الألوان ثلاثة وهي الأحمر والأسود والأبيض، وهذا من فضل الله على خلقه أن جعل لعباده صفات يتصفون بها وتميز بعضهم عن بعض. وجاء في معنى قوله تعالى: (ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) ألم ترى يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثًا فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها فسقيناها أشجارًا في الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفًا ألوانها؛ منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ) يقول تعالى ذكره ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق واحدها جدة.<sup>(31)</sup>

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>(32)</sup>. المعنى يتعاقب عليكم الليل والنهار والشمس والقمر لمصالحكم وقوام أموركم، إن في ذلك لدل الا تواضحات لقوم يعقل ونحجج الله سبحانه ويفهمون تنبيهه تعالى إياهم، (وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) أي وسخّر لكم ماخلق في الأرض مختلفاً ألوانه، قال قتادة يعني ما خلق من الدواب، والأشجار والثمار، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) أي يتذكرون قدرة الله ونعمه عليهم فلايشكرون إلا إياه. (فسلكه ينابيع في الأرض) والينابيع العيون (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) كقوله ثُمَّ يَهِيَجُ أي يجف، يقال للنبت إذا تم جفافه قد هاج النبات يهيج، وهاجت الأرض إذا ذوى ما فيها من الخضّر والحطام ما تفتت وتكسّر من النبات وَغَيْرِهِ<sup>(33)</sup>. ما ذرأ الله في الأرض ما خلق فيها من مختلف الألوان التي هي زينة الأرض وجمالها فكل شيء له لون سواء زرعاً أخضراً أو حطاماً يابساً فالألوان لها وجود فيما هو مرأى بالعين.

قال الله تعالى (وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ)<sup>(34)</sup>، معنى قوله تعالى: (وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ) (وَأَلْوَانِكُمْ) فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ اخْتِلَافُ الْأَلْسِنَةِ هُوَ اخْتِلَافُ اللَّغَاتِ؛ فَلْفَرَسٌ لُغَةٌ، وَلِلرَّوْمِ لُغَةٌ، وَلِلتَّرْكِ لُغَةٌ، وَلِلعَرَبِ لُغَةٌ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا، وَذَكَرَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ لُغَةً بَيْنَ النَّاسِ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَلْسِنَةِ هُوَ اخْتِلَافُ النَّغْمَاتِ، فَلَا يَتَّفِقُ لِاثْنَتَيْنِ نَغْمَةً وَاحِدَةً، وَاخْتِلَافُ الْأَلْوَانِ مَعَ لُومِ بَيْنِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّهُ مَبِيضًا أَوْ سُودًا، فَلَا يَتَّفِقُ لُونَانِ

من جميع ألوانه، وفيه حكمة عظيمة، وهو أنه لو اتفقت الألوان والألسنة لبطل التمييز، فلم يعرف الأب ابنه، والإبن أباه، وكذلك في الأخوة والأزواج وجميع الناس<sup>(35)</sup>. إختلاف الألسنة يعني تعددها أي تلونها باختلاف نغماتها، والألوان معلومة ولكن لا يتفق إثنافي اللون من جميع الوجوه فلا بد من تفاوت وهذا من بديع صنع الله في خلقه.

قال الله تعالى: (وكلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أموا الصيام إلى الليل)<sup>(36)</sup>، قال رسول الله صلى الله عليه أنزل الله تعالى وكُلُوا يعني في ليالي الصوم وأشربوا فيها حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود أي بياض النهار وضوءه من سواد ليل وظلمته، وإما سمي بذلك تشبيها بالخيط لابتداء الضوء والظلمة لامتدادهما وروى مخالداً عن حاتم قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والصيام قال صل كذا، وصم كذا، فإذا غابت الشمس فكلوا شرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وصم ثلاثين يوماً إلى أن ترى الهلال قبل ذلك، قال فأخذت خيطين من شعر أبيض وأسود، وكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال (يا ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل)<sup>(37)</sup>. الألوان داخله في العبادة فهي أصل من أصول مواقيتها في الصيام، والصوم ركن من أركان الإسلام، فكانت الألوان فيصلا بين ما هو داخل في حدود العبادة وبين ما هو خارج منها.

(وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (\*) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ<sup>(38)</sup>، معنى قَوْلُهُ تَعَالَى، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَهْلُ الطَّاعَةِ، فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ، فِيهَا جَنَّةُ اللَّهِ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(39)</sup>. لقد كان اللون سببا لدخول الجنة فالذين ابْيَضَّتْ وجوههم هم أهل طاعة المولى عز وجل فاللون إشارة وعلامة لرضا الرحمن ودخول جنته فهو من البشريات العظيمة.

قال الله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)<sup>(40)</sup>، جاء في معنى الآيات، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) يَعْنِي الْحَرُورِيَّةَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ وَلَا أَرْبَعٍ وَلَا خَمْسٍ وَلَا سِتٍّ وَلَا سَبْعٍ، أَي سَمِعَهُ يَذْكُرُ هَذَا الْمَعْنَى<sup>(41)</sup>. والحرورية هم الخوارج وهي طائفة ضالة ظهرت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم الذين جاء ذكرهم في الآية كما بين الرسول، وكان اللون من أسوداد وجوههم جعلهم من أهل النار، فأنظر كيف لعبت الألوان دورا فارقا بين الفريقين من أهل الجنة والنار، من أصحاب الوجوه البيضاء والسوداء، إنها قدرة الله وحده.

قال الله تعالى: (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ)<sup>(42)</sup>، جاء في المعنى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) قَالَ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَأَخْرَجَهَا مِثْلَ الْبَرَقِ تَلْتَمِعُ الْأَبْصَارَ، فَخَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ ثُمَّ خَرَجَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَفِرُّ مِنْهُ<sup>(43)</sup>. أنظر إلى اللون ماذا فعل بالناطرين إليه من الناس فروا من موسى جميعا بسبب ذلك اللون الذي

سخره الله لعبده موسى، ففزع السحرة وفزع معهم الناس وكانت الغلبة لبني الله بسبب لون جعله الله حيث أراد.

قال تعالى (بيضاء لذة للشاربين)<sup>(44)</sup>، والمعنى: خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون بيضاء يعني أن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن لَذَّةٌ أَيْ لَذِيذَةٌ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا عَوَلٌ أَيْ لَا تَغْت العقول هم فتذهب بها وقيل لا إثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفاء، وخمر الدنيا يحصل منها أن واعمن الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والخمار والعريضة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة<sup>(45)</sup>. البياض المذكور في الآية هو صفتها وهذه الصفة هي التي جعلته في مصاف الطيبات في الجنة لأنه شبيهه ببياض وجوه أهل الجنة، فللون الأبيض خاصية دون الألوان الأخرى.

أَلَا لِلَّهِ تَعَالَى (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ)<sup>(46)</sup>، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ مَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ، أَعْمَالُهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا وَكَتَبَتْ لِيَهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ يَجْرِي عَلَيْهَا، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ مَا كَتَبَتْ لَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَعْمَالِ<sup>(47)</sup>. فالسواد الذي ينتظم وجوه الكفار يوم القيامة إنما هو بسبب أعمالهم السيئة من المعاصي والذنوب، وبسبب الشر الذي غلب عليهم، فأورثهم سواد الوجه وهو من صفات أهل النار.

قال الله تعالى: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعْلُوهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ)<sup>(48)</sup>. (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) معناها لاستفهام تقديرها دلنا ربك يبين لنا أي شيء لونها (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لُونُهَا) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأن صعه يقال في التوكيد أصفر فاقعوه وتوكيد لصفراء وليس خبراً عن اللون ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون فائدة التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جديدة (تَسْرُ النَّاطِرِينَ) لحسنها وللسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه<sup>(49)</sup>. لقد كان اللون مصدراً للسرور والإعجاب للناظرين، وكان اللون في صلا في حل ما هو مشكل فإلتباس اللون على السائلين كان سبباً في تحديده وذكره لإقامة الحجة بالبراهين والبيينة.

قال الله تعالى: (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا)<sup>(50)</sup>، المعنى: الذي جعل لكم أيمتاعاً واستبصاراً من الشجر الأخضر الذي تشاهدون فيه الماء نارا بأن يأخذ أحدكم غصنين كالسواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء في سحق المرخوه وذكر على العفار وهو أنثى فتخرج النار! قال أبو حيان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس شجر إلا وفيه نار إلا العناب<sup>(51)</sup>. الشجر الأخضر كان لنا من الماء فلما جف صار يابسا بلا ماء فنتجت عنه النار وهذا من عجائب الله وحده فهو الذي حوله من الخضرة إلى الجفاف لمصلحة الأحياء من خلقه.

قال الله تعالى: (يَوْمَ يَنْفَحُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا)<sup>(52)</sup>، زُرْقًا حال من المجرمين والمراد زُرْقَةُ الْعْيُونِ وَجَاءَتْ الْحَالُ هُنَا بِصِفَةٍ تَشْبَهُ اللَّازِمَةَ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا عَلَى عَدَمِ اللَّزُومِ، وَلَوْ

قلت في الكلام جاءن يزيدُ أزرَقَ العين لم يَجْزُ إلا بتأويلٍ<sup>(53)</sup>. والأزرق لون من الألوان وهو لون السماء ولكنه جاء صفة من صفات المجرمين المحشورين في النار يوم القيامة، فالألوان من مميزات الإنسان والحيوان والنبات والجبال وغيرها من المخلوقات.

### الخاتمة:

تناول البحث الألوان من المنظورين الأدبي والشرعي ووقف على طبيعة الألوان وتأثيرها في حياة البشرية، باعتبارها جزءاً أصيلاً من مكونات المجتمع الإنساني، وركن شديد في إرساء مبادئ الحياة وإعمار الأرض، فالكون المنظور يستمد جماله وحيويته من تعدد الألوان، وبدونها يكون العالم نكرة، إن الألوان تبين المعاني المادية من الملموسات، والمعاني الحسية من المدركات توجهها الألوان، إن الحياة موجودة بألوانها قبل أن يدخلها الإنسان ويتعرف عليها، فالألوان تنقل حياة الإنسان من طور لآخر، وتؤدي إلى صونها ورعايتها وتحافظ على ترقيتها وتطورها، إن دخول الألوان إلى الدوائر التنفيذية يعطي الشرعية لتحكم الألوان في بعض مظاهر الحياة، فكانت باعثاً للفرح والسرور، فالألوان ترسخ في العقل البشري قبل نضجه، وتتأصل فيه ألوان الماديات بعد نضجه عبر مدركات المحسوسات التي توجهها الألوان، أن بقاء طبيعة الألوان مؤثر إيجابي على سلامة العقل لأنه يتعامل مع أطوار الحياة بمميزاتها اللونية، ولقد تعامل الإنسان منذ زمن بعيد مع الألوان كموجه نفسي فجعلها معبراً عن شعوره ومفسراً لأحلامه وعلامة مؤثرة في تصرفاته، ولذلك نجد الأدباء من الكتاب والشعراء والخطباء قد أولعوا بالألوان فأدخلوها في البلاغة، فحفلت الأشعار والتشبيهات والإستعارات والكنايات بذكر الألوان، ومن موضوعات الألوان لدى الشعراء، المدح، والفخر، والهجاء، والأطلال، والرتاء، والتشبيب، لقد جاء ذكر الألوان في القرآن وما تناولته الآيات يعد أصولها التي نشأت منها، وفي ذلك دلالة على عظمة الله وعجائب خلقه، ومن استخدامات الألوان في القرآن الكريم إنها تبين منازل ودرجات بعض خلق الله من الثواب والعقاب، فهي مستخدمة للذم والمدح، وبيان فضل الله ورحمته، وتفصيل عذاب الله وسطوته، وبيان مواقيت العبادات، فالألوان من مميزات الإنسان والحيوان والنبات والجبال وغيرها من المخلوقات ومحل إعجاب الناظرين، وفيصلاً في حل المشكل الملتبس وإقامة البينة بالحجة بالبراهين، وكانت الألوان نصراً للكرامة، وحافطة للأرواح وحاقنة للدماء.

### أهم النتائج:

1. الألوان جزء أصيلاً من مكونات المجتمع الإنساني، وعامل لإرساء مبادئ الحياة وإعمار الأرض.
2. الكون المنظور يستمد جماله وحيويته من الألوان وهي موجودة فيه قبل أن يدخله الإنسان.
3. أولع الأدباء من الكتاب والشعراء بالألوان فأدخلوها في فنون البلاغة من التشبيهات والإستعارات والكنايات.
4. تناول موضوعات الألوان لدى الشعراء، المدح، والفخر، والهجاء، والأطلال، والرتاء، والتشبيب.

5. القرآن ذكر أصول الألوان التي نشأت منها، فهيحل للمشكل ونصر للكرامة، وحفظ للأرواح.

6. (الألوان في القرآن تبين درجات الخلق من الثواب والعقاب، والذم والمدح، وبيان مواقيت العبادات.

### التوصيات:

1. نوصي بتأمل جميل خلق الله من الألوان للوقوف على إعجاز الخالق وشكره على نعمة البصر.

2. الإعتبار بالألوان والأيمان بشرعيتها في دخولها حيز الحياة التنفيذية للإنسانية.

## الهوامش:

- (1) ليبد بن ربيعة العامري، الديوان ص 133
- (2) حبيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر، الوحشيات الحماسة الصغرى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص261
- (3) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج3 ص212
- (4) محمد بن يزيد بن المهدي، الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1421هـ، ص58.
- (5) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، 1344 هـ 1926م، ج1 ص34.
- (6) محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء، الموشى الظرف والظرفاء، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة: الثانية، 1371هـ 1953م، ص161.
- (7) أحمد بن يوسف التيفاشي، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة 1980م، ص75
- (8) أبو هلالات حسن بن عبد الله العسكري، ديوان المعاني، دارالجيل، بيروت، ج1، ص332.
- (9) نصر الله بن محمد بن محمد ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ، ص38.
- (10) محمد بن الحسن بن محمد أبو المعالي، التذكرة الحمدونية دارصادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ، ج5 ص363.
- (11) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ ج1 ص149.
- (12) المُعزِّ بن بادي سبن المنصور التميمي، عُمْدَةُ الكُتَّابِ وَعُدَّةُ ذوي الألباب، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، الطبعة: الأولى، 1409هـ، ص62
- (13) الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401هـ، 1981م، ج2 ص11.
- (14) المرجع السابق، ج2، ص142
- (15) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، الرسائل السياسية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص54.
- (16) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الثانية، 1423هـ، ص482
- (17) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ، ص82
- (18) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، الرسائل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ، 1964م، ج2 ص342

- (19) شهاب الدين أحمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ، ج4ص54
- (20) عبدالله بن محمد المعتز، البديع في البديع، دارالجيل، الطبعة: الطبعة الأولى 1410هـ، 1990م، ص19
- (21) محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، مطبعة الصاوي، 1355هـ، 1936م، ص143
- (22) محمد بن الحسن بن دريد، تعليق من أمالي بن دريد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، الطبعة الأولى، 1401هـ، 1984م، ص92
- (23) الحسن بن بشر الأمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، دارالمعارف، الطبعة الرابعة، ص399
- (24) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، مرجع سابق، ص57
- (25) ديوان المعاني، مرجع سابق، ج2، ص141
- (26) الحسن بن علي الضبي ابن وكيع، المنصف للسارق والمسروق منه، جامعة قاتيونس، بنغازي، الطبعة: الأولى، 1994م، ص257
- (27) عبد الملك بن محمد الثعلبي، من عاب عنه المطرب، المطبعة الأدبية، بيروت، 1309هـ، ص43
- (28) عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، فصل المفال في شرح كتال الأمثال، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1971م، ص344
- (29) سورة فاطر، الآيتان 27-28
- (30) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص106
- (31) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج20، ص461
- (32) سورة النحل، الآية 13-14
- (33) مكي حَمّوش، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1429هـ، ج6ص3962
- (34) سورة الروم الآية 22
- (35) منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ، 1997م، ج4ص204
- (36) سورة البقرة، الآية 187
- (37) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ، 2002م، ج2، ص80
- (38) سورة آل عمران، الآيتان 107-108
- (39) الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ، ج1ص491

- (40) سورة آل عمران، الآية 106
- (41) مجاهد بن جبر التابعي المكي، تفسير مجاهد، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ، 1989 م، ص 256
- (42) (42) سورة الأعراف، الآية 108
- (43) (43) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، 1419 هـ، ج 8، ص 2760
- (44) سورة الصافات، الآية 46
- (45) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، ج 4، ص 18
- (46) سورة الزمر، الآية 60
- (47) تفسير البغوي، مرجع سابق، ج 2، ص 190
- (48) سورة البقرة، الآية 69
- (49) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلمال طيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، 1998 م، ج 1، ص 98
- (50) سورة يس، الآية 80
- (51) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج 16، ص 181
- (52) طه 102
- (53) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دارالقلم، دمشق، ج 8، ص 104